معرض

الحرب... في أنصابها وشواهدها

بيروت – رواد خير الله

تُقيم جميعة «أمم للتوثيق» معرضاً بعنوان «الحرب في أنصابها وشواهدها» في «هنغار» كائن في منطقة حارة حريك (ضاحية بيروت الجنوبية)، من 12 يونيو (حزيران) الجاري إلى 29 منه. «أنصاب» تدلّ على مراحل التحوّل، ولكل مرحلة في لبنان أنصابها.

العابر قرب السفارة الكويتية في بيروت يلاحظ المسلّة العملاقة التي قدمتها الجمهورية اللبنانية تكريماً للرئيس السوري الراحل حافظ الأسد في خضم الهيمنة السورية على لبنان. مسلّة تعبّر عن سياسة كانت قائمة في تلك المرحلة وتحمل دلالات فرودية.

لا نعرف لماذا بقيت هذا المسلة على ما هي! لم يلجأ أهل السياسية إلى إزالتها، ربما لأنها تقع في منطقة الغبيري. إنها أحد الأنصاب «السورية – اللبنانية» القليلة الباقية في لبنان، وتدل على مرحلة الوصاية أو السيطرة البعثية على لبنان، اذ كان العابر في المناطق اللبنانية يلاحظ أنه عند كل منعطف أو في كل ساحة يرقد تمثال إما للراحل باسل الأسد أو لوالده أو لـ«البعث» أو ما شابه.

معاني مرحلته من خلال تماثيل وأنصاب تحتل الواجهات والزوايا، خصوصاً في الضاحية الجنوبية حيث تمجيد المقاومة والحرب على إسرائيل. على أن بعض العناصر التابعة لـ«حركة أمل» لجأ قبل أشهر الى تشويه نصب تابع للحزب الشيوعي اللبناني في منطقة كفرمان الجنوبية.

النصب في علم الاجتماع إحدى أدوات الدعاية الجماهيرية. يقول الباحث كنعان مكية في كتابه «النصب التذكارية» نقلاً عن الفيلسوفة الأميركية حنة أرندت إن الدعاية الجماهيرية اكتشفت أن جمهورها على استعداد دائم لتصديق الأسوأ مهما كان منافياً للعقل، وأن هذا الجمهور لا يمانع كثيراً في التعرّض إلى التضليل.

شواهد

تماثيل الحرب وشواهدها ليست وليدة السنوات الأخيرة في لبنان، فتمثال الشهداء في ساحة البرج يعبّر عن المرحلة العثمانية، تمثال شهداء السادس من مايو (أيار) يشير إلى من علّقهم القائد العام للجيش الرابع العثماني جمال باشا السفاح على أعواد المشانق. وقد أمر الجنرال الفرنسي هنري غورو الذي أعلن دولة لبنان الكبير عام 1920، بإقامة تمثال سُمِي «الباكيتان» يمثل امرأة مسلمة وأخرى مسيحية تنتحبان فوق قبر يرمز الى مدافن الشهداء. بيد أن هذا التمثال نُقل من هناك، إلى متحف «سرسق» في بيروت.

وفي السادس من مايو 1956 وضع رئيس الجمهورية كميل شمعون حجر الأساس لنصب الشهداء الجديد، وقد كلفت بلدية بيروت النحّات الإيطالي مارينو مازاكوراتي الذي صنع تمثالاً لرئيس الوزراء الراحل رياض الصلح، صنع تمثال جديد للشهداء. وفي السادس من مايو 1960 دشّن الرئيس فؤاد شهاب التمثال الجديد الذي يرمز الى الحرية، لكن الأخير أصيب بأضرار بالغة في حروب لبنان (1975 – 1990)، ونقل في 29 مايو 1996 الى جامعة الروح القدس في الكسليك حيث عكف خبراء على ترميمه. وأعيد الى موقعه الأصلي في 10 يوليو (تموز) 2004، بعدما تُركت فيه ثقوب أحدثتها رصاصات وشظايا تذكيراً للناس بأهوال الحرب، علّهم يعتبرون.

اغتيالات

من يراقب النصب التذكارية في لبنان يلاحظ أن لكل جماعة

حاول لبنانيون كثر من خلال التماثيل نيل رضا النظام المسيطر آنذاك، من حلبا في الشمال الى قانا في الجنوب، ومن شتورا في البقاع الى اللبوة في بعلبك. مع انسحاب الجيش السوري عام 2005 كانت التماثيل تنسحب معه، كان كثر يهاجمونها كما لو أنها أقنعة النظام المنسحب بعد عقود السيطرة، وعلى هذا عمد الجيش السوري الى أخذ الأنصاب معه وبقيت المنصّات إما شاغرة أو لجأ «حزب الله» الى توزيع أنصاب قادته عليها من السيد حسن نصر الله والخميني إلى علي خامينئي، انتهاءً بعماد مغنية الذي رُفعت له صورة كبيرة عند مدخل مدينة بعلبك على متن ناقلة جند من مخلفات الاحتلال الإسرائيلي.

هكذا كل فريق يحاول إبراز أنصابها، سواء في المناطق المسيحيّة أو الإسلاميّة. لسنوات سابقة كان تمثال الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر يحتل ساحات كثيرة وقرى ومدناً لبنانية، وما زال اليوم في واجهة منطقة عين المريسة في بيروت، وفي بلدات مثل برجا، كان حضور تمثال ناصر إشارة الى الوهج العروبي والشبح القومي في لبنان.

مع انهيار الناصرية بدأت تتداعى تماثيل القائد وتغرب كغروب طيفه، فقد نُسف تمثال في الضاحية الجنوبية وبعلبك مع صعود موجة «حزب الله»، وتكرّست الحرب على التماثيل خلال الحرب الأهلية اللبنانية، لأنها كانت أشبه باغتيالات رمزية.

يروى الباحث كمال الصليبي كيف أُغتيل نصب فخر الدين في الجبل لأنه كان يمثل «المارونية السياسية» بينما بقيت صورته معلّقة لأنها تمثل الدرزية السياسية، على أن التماثيل أيضاً كانت عرضة للحرب والاغتيال اذا جاز التعبير، فـ«الحزب السوري القومي الاجتماعي» الذي اغتال رياض الصلح جسدياً ما لبث ان اغتال تمثاله في ساحته قبل أن يُعاد ترميمه بعد تدخلات سياسية.

كذلك اغتيل تمثال الرئيس بشارة الخوري في منطقة رأس النبع (بيروت)، وفجّر تمثال بيار الجميل في بكفيا وتمثال عبد الحميد كرامي في طرابلس، ووُضع مكانه نصب لكلمة الله، حصل هذا في خضم سيطرة الإسلاميين على مدينة طرابلس.

في ساحة «ساسين» يعلو نصب الرئيس بشير الجميل الذي اغتيل في المنطقة نفسها، وفي صيدا نصب لمعروف سعد الذي اغتيل أيضاً، وفي مناطق مختلفة من الجنوب والبقاع أنصاب حربية لـ«حزب الله» و«حركة أمل»، وقبالة وزارة الدفاع اللبنانية يرتفع نصب السلام للجيش اللبناني.

بعد الانسحاب السوري من لبنان بات الشعب اللبناني أمام مرحلة جديدة، وسقط شهداء جدد، فأزيح الستار عن نصب الراحل سمير قصير قرب جريدة «النهار»، وعن تمثال الرئيس رفيق الحريري في مكان اغتياله، هذا عدا عن أنصاب كثيرة تعبّر عن مرحلة ما سمي انتفاضة الاستقلال.

هكذا الأنصاب شواهد على أزمنتها، تعبّر عن واقع سياسي وعن جماعات طالما عشقت عبادة الرموز، بل طالما توزّطت في العنف والهمجية.